الانزياح الدلالي: دراسة تطبيقية من خلال نظرية النظم

وفاء أبوالحسن دفع الله و محمد داؤد محمد
[2.1]جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – كلية اللغات

المستلخص :

يأتي هذا البحث لمعرفة مفهوم الانزياح الدلالي، وما يحققه في اللُّغة الأدبية من إظهار للقيم الجمالية في النص, و إجلاء المعنى جلاًء واضحاً من أجل الحصول على المعنى المقصود من استخدام الألفاظ أو الصور الكلامية على اعتبار أنّ الانزياح هو أحد مناهج التحليل الأسلوبي، وله منظور واضح من خلال الدراسات المختلفة التي تهدف إلى مفاجأة القارئ بشيء جديد مع إعطاء البعد الجمالي للأدب. وقد تميزت نظريةالنَّظ ْم) لعبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز بنظرة ثاقبة عميقة مصحوبة بالشرح الوافي والتحليل الجاد، فيما يعرف (بمعنى المعنى) أو (المعاني الثانوية) التي تقابل مفهوم الانزياح الدلالي الذي يمثل المدلول الإفرادي للكلمة على أي مستوى من مستويات المعنى على اختلاف الغرض الذي يريده الكاتب، وهو الأمر الذي لا يكتمل تمامه إلا من خلال تضافر القرائن المقالية والحالية للنص. وقد بيّنَت هذه الدراسة الوصفية القائمة على التحليل والتطبيق أنّ أسلوبية الانزياح تكشف الكثير من دلالات النص الأدبي شعراً أو نثراً، بالإضافة إلى معرفة العلاقة الوطيدة التي تجمع بين الانزياح بمفهومه الحديث ونظريةالنَّظ ْم).

كلمات مفتاحية : *الانزياح الدلالي ، نظريةالنظم، معنى المعنى ، المعاني الثانوية ، تَضافُر القرائن.*

ABSTRACT:

This research was intended to know the meaning of semantic deviation. It also considers its effects on literary language, with respect to clarifying the meaning and the aesthetic value of the text.

It is worth mentioning here that semantic deviation is an approach to stylistic analysis. It has developed a clear vision of the element of "surprise" retaining the aesthetic value of literature. The theory of language structure, as depicted in Dalail Alijaz (signs of miracles) by Abdul Gahir Ajurjani, is characterized by a deep insight a long with a considerable explanation and analysis of what is known as "The meaning of meaning" or "the secondary meanings". This is parallel to the notion of semantic deviation which represents the meaning of a word in isolation at all levels of meaning and with the different intentions of a writer. This can only be complete through the consideration of cohesion and the coherence of the text. This study has revealed, through analysis and application, that semantic deviation styles reveal a lot of meanings in the Arabic text whether it is poetry or prose. They also reveal that there is a strong link between the modern notion of deviation and the theory of language structure (Annathm).

المقدمة :

تنتظم اللغة العربية عبر قواعد بناء معينة تبدأ بالأصوات التي تشكّل الكلمات، والكلمات تتناسق لتألّف الجمل بنوعيها الاسمية والفعلية، وتتضام الجمل على شكل فقرات حاملة أفكار فرعية ، والفقرات تتشكل النصوص، فإذا خرج ذلك هذا التشكيل أو ذاك التضام عن المألوف فقد حاد وانزاح عن السّمت المتعارف عليه وهو أمر يكثر لدى الأدباء طلّبا لاستقامة الوزن ولتأدية معانٍ دلالية تكون أعمق وأبلغ وأشد تأثيراً في النفوس لتحقيق ما يصبو إليه الأديب من شدّ

انتباه السامع أو القارئ والإتيان بما هو جديد ومبتكر وما ذلك إلا لأن الأسلوبيين نظروا إلى اللغة في مستويين الأول: مستواها الطبيعي في الأداء العادي ، والثاني: مستواها الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه الطبيعة وانتهاك وحدتها المشتركة.

إن الانزياح هو آلية الخروج عن سلطة اللغة المألوفة وعن تكرار مظاهرها، والدخول في مملكة حرية الكلام وإبداعيته ، إنّه انتقال الخطاب من جماعة اللسان ونمطية الأساليب إلى فردانية فعل المتكلم وحيوية الأسلوب وهو انتقال بلغة الأدب إلى حيّز الدهشة والمفاجأة التي عبّر عنها النقد القديم مبكراً بمصطلحات: البلاغة والعدول والالتفات والإعجاز. وهو أمرٌ يظهر بجلاء في كتاب (دلائل الإعجاز) للإمام عبد القاهر الجرجاني وذلك من خلال نظريته (النظم).

تناول عبدالقاهر في تلك النظرية عدداً مقدراً من الشروح والتفصيلات التي تُرجع قيمة الكلام إلى ما يحمله من مزايا وفضائل,ولكونه نُظِم نظماً معيناً باختلاف الغرض الذي يريده الكاتب ، ووضَّح لنا في ذلك كما يُعرف (بمعنى المعنى) أو(المعاني الثانوية) التي تقابل مفهوم الانزياح الدلالي في علم اللغة الحديث وقد اكتفت الورقة في ذلك بالإشارة إلى الاستعارة والكناية والتمثيل والجناس والتنكير والتعريف لكونها أظهر وأكثر وضوحاً في مادة الانزياح الدلالي في كتاب (دلائل الإعجاز).

الإطار النظري للبحث :

يعدُّ مصطلح الانزياح من المصطلحات الشائعة في الدراسات الأسلوبية المعاصرة ، ويستعمل على نطاق واسع خاصة في العالمين العربي والغربي ، وهو علم قائم بذاته ينتج عنه قرار له قيم جمالية ، يقوم على نظرية متجانسة ومتماسكة كونها تستند إلى اللسانيات الأبية على اختلاف تياراتها المتباينة طوراً والمتشاكلة أطواراً أخرى .وقد نظَّر له عدد من العلماء وربما يكون كوهين هو أول من خصّ هذا المصطلح بحديث مستفيض في مجال حديثه عن لغة الشعر وقد جاءت محاولاته وغيره من المنظرين لتقدم الشعرية نحو موطنها ، فقامت نظرية الانزياح لديه على مجموعة من الثنائيات ضمن استراتيجية الشعرية البنيوية لاسيما في كتابه (بنية اللغة الشعرية) الذي ظهر عام 1966م(نقلاً عن موقع www.4adab.com جامعة حلب سوريا). وبناءً على هذا "انتقل مفهوم الانزياح –بفعل هذه الجهود –من تفسير الفاعلية الكامنة في الصورة البلاغية ودوره في وسم الوحدات المنعزلة إلى منظور كلي يحاول تفسير العملية الإبداعية في مستواها الأسلوبي"(الحضري:الأسلوبية النصية من خلال مفهوم الانزياح:azzoulahcen.jearen.com)

وفي محاولة لمعرفة مصطلح الانزياح الأسلوبي هذا نجد له أكثر من تعريف في علم اللغة الحديث:

فهو في اللغة مصدر الفعل الخماسي (انزاح) أي ذهب وتباعد (الفيروز أبادي: القاموس المحيط:1983–1–32)

وفي الاصطلاح:"هو استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصور استعمالاً يخرج بها عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي أن يتصف به من تفردٍ وإبداعٍ و قوةٍ وجذبٍ وأسر".(نقلاً عن موقع صحيفة موقع البعث: www albaath.news.sy مقال لعمرمحمد جمعة)

وقيل" إنه إما خروج على الاستعمال المألوف للغة ، وإمّا خروج على النظام اللغوي نفسه ، أي خروج على جملة القواعد التي يصير بها الأداءالى وجوده ، وهو يبدو في كلا الحالين ، كما يُمكن أن نلاحظ وكأنه كسر للمعيار غير

أنه لا يتم إلا بقصد من الكاتب أو المتكلم ، وهذا ما يعطي لوقوعه قيمة لغوية وجمالية ترقى به إلى رتبة الحدث الأسلوبي"(أحمد قاسم الزمر: ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن:2007-1427-ط1-180)

وقد تحدث كثير من الباحثين عن أنواع الانزياح حتى أوصلها بعضهم إلى خمسة عشر انزياحاً (المرجع السابق:187-188) أما الكاتب والشاعر السعودي عبد الله الشتوي فنجده قد قسمه إلى ثلاثة أنواع هي :

- الانزياح الإسنادي: وهو الإسناد الاسمي والفعلي.
- الانزياح الدلالي: وهو ما يتمثل في المجاز والاستعارة و النعت والصفة والكناية ...إلخ.

الانزياح التركيبي: ويندرج منه نمط التقديم والتأخير والحذف والالتفات والتحول الأسلوبي كالتقديم والتأخير.(موقع مجلس عمان الأدبي:www.majles Oman.com مقال بعنوان مزيداًمن الانزياح:عبد الله الشتوي)

واكتفى الدكتور أحمد محمد ويس بذكر نوعين من الانزياح هما :

- الانزياح الاستبدالي: وهو ما يكون فيه الانزياح متعلق بجوهر المادة وتمثل الاستعارة عماد هذا النوع من الانزياح ونعني بها الاستعارة المفردة حصراً .
- الانزياح التركيبي: وهو ما يتعلق بتركيب المادة اللغوية مع جاراتها في السياق الذي ترد فيه سياقاً قد يطول أو يقصر.(د.أحمد محمد ويس:الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ط1-2005-1426-111)

إن اللغة في تصنيفها للوجود وتعبيرها عن أجزائه وتنظيمها إلى أنواع وأجناس لم تقتصر على الحياة والتعبير عن العواطف والمشاعر الإنسانية والمفاهيم الكلية فقط ، بل تعدته للتعبير عن عدد من القيم التي تمثل الرابطة العضوية بين اللغة والفكر واستحال الفصل بينهما بفاصل (د.وليد محمد مراد:نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية: دمشق: دار الفكر: ط1-1983-1403-168)، ولما كان حديث الإمام الجرجاني كثير في هذا الأمر كانت هذه الدراسة التي تتناول الانزياح الدلالي من خلال نظريته (نظرية النظم) من خلال هذه النقاط :

الإمام عبد القاهر الجرجاني:

هو: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني من أئمة العربية في زمانه شافعي المذهب(ياقوت الحموي:معجم البلدان:ط1:1995-119) كان عصره مليئاً بالمتزندقين الذين لا هم لهم سوى التشكيك في العقائد وإثارة الفتن وتضليل العقول في مقدسات الشريعة الإسلامية (الجرجاني:نظرية إعجاز القران الكريم:1959-1379: 319-329)فكانت كتاباته مشوبة بحمية جارفة ألف من خلالها عدداً من الكتب من أمثال : أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، وتحدث حديثاً مستفيضاً عن سر إعجاز القرآن الكريم الذي يكمن في (النظم). يقول في ذلك : "اعلم أن ليس (النظم) إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيءٍ منها"(الجرجاني:دلائل الإعجاز: تح محمود محمد شاكر: ط3 :1992-1413: 59-61)

لقد بحث الجرجاني في العلاقة بين النَّظ ْم – الذي هو ترتيب الكلام على نحو معين – وعلم النحو واعتبر هذه العلاقة مدخلاً لفهم دقائق اللغة والنصوص الأدبية فلم يهمل النحو التقعيدي ، إلا أنه ثّمن دور النحو الإبداعي الذي يدمج التركيب بالدلالة والصور النحوية بالصور البلاغية بحيث لا يمكن تذوق الصور المجازية بمعزل عن التراكيب

النحوية التي تهيئ لها حيزاً جمالياً لبروز معانيها.(د.خيرة حمرة العين:شعرية الانزياح:ط1:مؤسسة حمادة :الأردن:2001: 94)

1- ماهية الانزياح الدلالي في نظرية النظم:

ذكر الجرجاني في غير موضع من كتابه (دلائل الإعجاز) أهمية اللفظ والمعنى في إظهار بلاغة الكلام وجودته(الجرجاني:دلائل الإعجاز:489،251)وهو ما يقودنا مباشرة إلى ما أسماه بالمعاني الثانوية أو (معاني المعاني)، وهو ما يشير إليه علماء اللغة بالانزياح أو العدول أو الانحراف ، ومن المعلوم أن نظرية الجرجاني في (معنى المعنى)كانت قد أحدثت توسعاً كبيراً في دراسات النقد العربي على اعتبار أن المعنى الأول مشار إليه بدلالة اللفظ وحده في حين يشار إلى المعنى الثاني بدلالة إيحائية ، فهو لا ينظر إلى الألفاظ بمعزل عن سياقها التركيبي(د.خيرة حمرة العين:شعرية الانزياح:73)

لم تكن نظرية النَّظ ْم بدلالة الألفاظ على معانيها، وإنما بحثت في اشتقاق الدلالة من مدلولات هي مدلولات ثوانٍ لدوالٍ أُولى، ولعل الأدوات التي اعتمدها هي التشبيه الحي فكثيراً ما يقابل بين الذهب والفضة والحرير وبين اللغة وما يفعل فيهاالمتكلم فكان جوهر الإبداع في تصوره يكمن فيما يحدثه النَّظ ْم في الكلام فيجعله متميزاً في أنفس الكلام وأوضاع اللغة. (المرجع السابق:74)

إن انزياح اللفظ عن معناه الأساسي إلى معنى آخر أو دلالة أخرى وهو ما أطلق عليه الجرجاني (الدلالة الإضافية) ، فخص الدلالة الأصلية بالمعاني الحقيقية ، وخص المعاني الإضافية بالدلالة الإضافية أو الثانوية وهو ما يعرف بالمعنى الَعرَضِي أو الضمني ، يقول الجرجاني في ذلك : "إذا عرفت هذه الجملة فقد حصل منها على أن الُمف َسَّر له دلالتان : دلالة اللفظ على المعنى ودلالة المعنى الذي دل اللفظ عليه على معنى لفظ آخر ولا يكون للتفسير إلا دلالة واحدة هي دلالة اللفظ ، ولا يكون الذي ذكرت أنه سبب فضل الُمف َسَّر على التفسير من كون الدلالة في الُمف َسَّر دلالة معنى على معنى ، وفي التفسير دلالة لفظ على معنى حتى يكون للفظ الُمف َسَّر معنى معلوم يعرفه السامع ، وهو غير معنى لفظ التفسير في نفسه وحقيقته"(الجرجاني:دلائل الإعجاز:445) وهو ما يعرف بالغموض الفني المحبب.

وليس غريباً إذن أن تثير نظرية (المعنى) و(معنى المعنى) عند الجرجاني سؤالاً نقدياً يتصل بالمستوى العميق للإبداع الشعري لأنها تحيل على معنى ُمدْرك بالدلالة المباشرة ومعنى آخر ُموحٍ إليه بدلالة غير مباشرة. والمخطط التالي يوضح ذلك (د.خيرة حمرة العين:شعرية الانزياح:82)

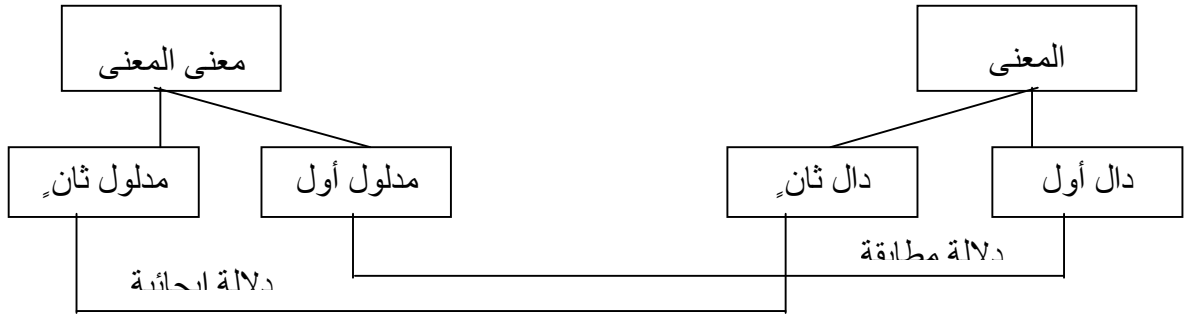

لقد أفرزت نظرية المعنى ومعنى المعنى سياقاً مفتوحاً للنص الأدبي وفق أنساق القراءات بغرض اختراق تطابق الدلالة ، وهو ما عناه الجرجاني في أن الفرق ليس فيما بين (الشعر والنثر) وإنما هو فرق بين ما يدل على أنه كلام أدبي وعلى ما يدل أنه محض كلام عادي.

فضربٌ تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده (كلام عادي)

وضرب لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده (كلام فيه انزياح)

ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، فالمعنى إذن ينزاح عن مدلوله اللفظي الكائن في دلالته الظاهرة أو المباشرة (معنى أول) إلى دلالة خفية غير مصرح عنها (معنى ثانٍ = معنى المعنى) (المرجع السابق:83) ويؤكد ذلك جمال حضري بقوله: "إن الانزياح يمر بمرحلتين كي يحقق تحرره ، الأولى تحرر من القيود المفروضة على اللغة كيفما كانت ثم مرحلة خلخلة المعاني"(المرجع السابق:84)

ووفق هذا التصور فإن الرسالة تتموج وتنحرف ، وعلىللمتلقّي أن يضبط موجاتها الدلالية. وبذلك يصبح المعنى الأول إشعاعا دلالياً للمعنى الثاني، ويمكن إدراك ذلك على سبيل الاستدلال (د.تمام حسان:اللغة العربية مبناها ومعناها:القاهرة:ط3: 1425-2004: 237-238):

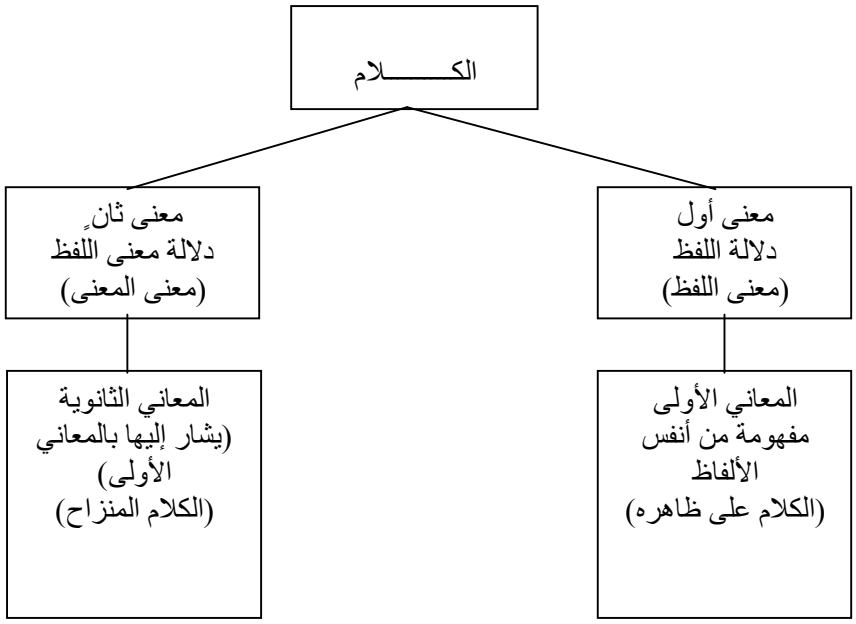

2- دور القرائن الحالية في توضيح الانزياح الدلالي:

من المعروف أن إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي، والصرفي، والنحوي) وعلى المستوى المعجمي فوق ذلك لا يعطينا إلا (معنى المقال أو المعنى الحرفي) كما يسميه النقاد أو من ظاهر النص كما يسميه الأصوليون وهو معنى فارغ تماماً من محتواه الاجتماعي والتاريخي ومنعزل تماما عن كل ما يحيط بالنص.(الجرجاني:دلائل الإعجاز:87) ومن هنا كان لابد من تخطي المعنى الحرفي إلى المعنى الاجتماعي الذي لا يقف عند معنى (المقال)وإنما يضم إليه معنى (المقام) لإظهار الانزياح الدلالي بشكل واضح.

وفيما يلي هذا المخطط الذي يوضح هذا الأمر :

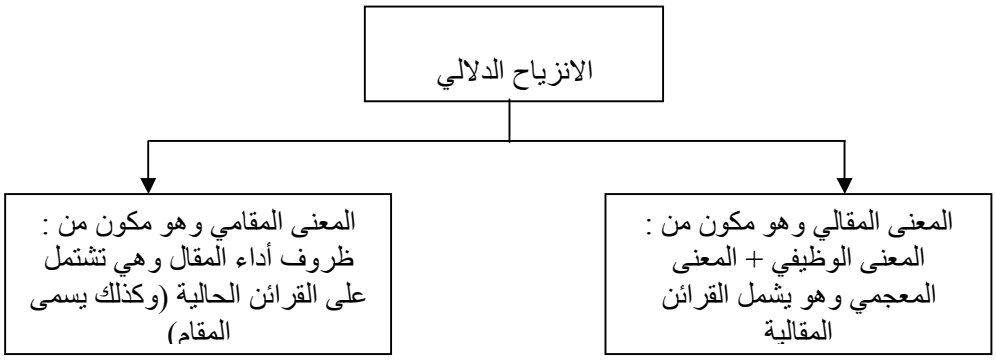

يقول الإمام الجرجاني في هذا الصدد:"واذا عرفت أن مدار أمر النَّظ ْم) على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه ، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ونهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها . ثم اعلم أن ليست المزّية بواجبة لها في أنفسها ومن حيث هي على الإطلاق ، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها على بعض... بل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع، وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤم".(المرجع السابق:259-261)

مما سبق يتضح أن الإمام الجرجاني قد قرر مقتضيات الدلالة الكاملة لمعرفة أوجه الانزياح المختلفة. ففي قوله : (بحسب الموضع) يريد من ذلك المعنى الوظيفي (الصوتي أو الصرفي أو النحوي) المكتسب من واقع حال السياق والتركيب، ومن قوله (بحسب المعنى الذي يريد) يقصد من ذلك المعنى المعجمي ؛ أي أن الكلمة لا بد أن تكون صحيحة معجمياً . وفي قوله : (الغرض الذي تؤم) أشار بذلك إلى القرينة الحالية (المعنى المقامي) وذلك لأن ظروف المقام، والظروف الاجتماعية المحيطة بالنص هي التي تحكمه وتوضح غرضه ومعناه المنزاح بصوره دقيقة ليقرر بعد ذلك أن الهدف من نـ َظ ْم الكلام ليس المعنى بعينه وانما تأديته على وجهه".(المرجع السابق:67)

4-نماذج من الانزياح الدلالي:

معلوم أن الانزياح الدلالي يتعلق بجوهر المادة اللغوية ويتمثّل في اللفظة المفردة حصراً، وتمثل الاستعارة عماد هذا النوع من الانزياح ، ثم تأتي بعدها الكناية والتمثيل والجناس والتعريف والتنكير والنعت...الخ، فكل لفظة مفردة انزاحت عن معناها الأساسي وأضافت معنى ثانوياً أو إضافياً تعتبر من أوجه الانزياح الدلالي. ولذكر نماذج من الانزياح الدلالي نبدأ بالاستعارة.

أ/ الاستعارة :

يذكر الجرجاني تعريف الاستعارة في كتابه (دلائل الإعجاز) فيقول: "الاستعارة أن: تريد تشبيه الشيء بالشيء، فـ َتـ َدع فصلح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المُشـ َبَّه به فـ َتـ ُعيره المُشـ َبَّه وتجريه عليه وتريد أن تقول : رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواءفتدع ذلك وتقول : رأيت أسداً ".(المرجع السابق:101)

ففي قوله تعالى :"... واشتـ َعَلَ الرَّأسُ شيبًا" (سورة مريم:4) ليس مرد البلاغة والروعة فيه إلى مجرد الاستعارة فالاشتعال للمعان الشيب في الرأس ولم يسند إلى فاعله الأصلي وهو الشيب الذي جاء منصوباً على التمييز وقد أفاد هذا التأليف الخاص ما لا تفيده الاستعارة في ذاتها من الشمول وسرعة الانتشار لو لم تنظم على هذا النحو الذي نظمت به. فإن السبب أنه يفيد مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو في أصل المعنى الشمول وأنه قد شاع فيه وأخذه من

نواحيه وانه قد استغرقه وعمَّ جملته حتى لم يبقَ من السواد شيء أولم يبق إلا ما لا يعتد به. وهذا ما لا يكون إذا قيل : "اشتعل شيب الرأس"، أو "الشيب في الرأس".(الجرجاني:دلائل الإعجاز:101)

ويقول"مما هو أصل في شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات قصداً إلى أن يلحق الشكل بالشكل، وأن يتم المعنى والشبه فيما يريد ، مثاله قول امرئ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ *وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

لما جعل الصلباً قد يتمطى به ، ثنّى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب وثلّث فجعل له كلكلاً قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشخص، وراعى ما يراعيه الناظر من سواده، إذا نظر قُدَّامه وإذا نظر خلفه وإذا رفع البصر ومدّه في عرض الجو.(د.محمدالإسكندراني،د.نهاد زروق:شرح ديوان امرئ القيس:بيروت2007-1428: 31)

ومن أمثلة الاستعارة ما جاء في قوله:" ومثل هذه الاستعارة–السابقة في الكتاب– في الحسن واللطف وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول الآخر

سالتْ عليه شِعَابُ الحَيِّ حين دَعَا * أُنصَارَه بوجوهٍ كالدنانير(الجرجاني:دلائل الإعجاز:79)

أراد أنه مطاع في الحي وأنهم يسرعون إلى نصرته وأنه لا يدعوهم لحرب أو نازل خطب إلا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من ههنا وههنا وتنصب من هذا المسيل وذلك حتى يغص بها الوادي ويطفح منها"(البيت لسبيع بن الخطيب وقيل لغيره:دلائل الإعجاز:74:الهامش)

ما سبق يدل دلالة واضحة على أن التعبير الاستعاري يؤدي وظيفته الفنية عن طريق الانزياح الدلالي، فالنقل يعني أننا مع كل استعارة نكون إزاء معنيين : أحدهما أصلي وضعت الكلمة له وتعورفت به وثانيهما مجازي انتقلت إليه الكلمة ، وسواء أكان هذا أم ذاك فإن دلالة الكلمة على هذا المعنى المجازي ليست في هذا التصور سوى تجاوز وانحراف عن الدلالة الوضعية التي تلازمها في عرف الاستعمال.(الجرجاني:دلائل الإعجاز:74)

ب/ الكناية :

الصورة الثانية من صور الانحراف الدلالي هي الكناية ويعرفها الجرجاني فيقول:"أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردِفُه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه مثال ذلك قولهم : (هو طويل النِّجَاد) يريدون طويل القامة (وكثير رماد القدر)يعنون كثير القِرى، وفي المرأة (نؤوم الضحى) والمراد أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود".(حسن طبل:المعنى في البلاغة العربية:القاهرة:ط1: 1998-1418: 74)

ومن شواهد الكناية الشعرية التي اختارها الإمام قول الشاعر:

لا أُمتِعُ العُوذَ بالفِصالِ ولا * أُبتَاعُ إلا قريبةَ الأَجَـــلِ(الجرجاني:دلائل الإعجاز:66)

وانحرف هذا البيت من قلة خبرة الشاعر البيطرية والتجارية البادية في المعنى الأول، إلى المعنى الثاني المنزاح وهو صفة الكرم فناقته (العوذ) المطفلة لا يدع وليدها يرضع منها لا لشيء سوى أنها تعقر لأقرب ضيف يحل بالديار، اختار هذا الشاهد بعد أن قدم له بقوله:"من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذي تجعله دليلا على المعنى الثاني ووسيطا بينك وبينه متمكنا في دلالته مستقلا بوساطته يسفر بينك وبينه أحسن سفارة ويشير لك إليه أبين إشارة حتى

يخيل إليك أنك فهمته من حاق اللفظ وذلك لقلة الكلفة فيه عليك وسرعة وصوله إليك فكان من الكناية مثل قوله.(البيت لإبراهيم بن هرمة:دلائل الإعجاز :الهامش:268) (وذكر البيت)

فالكناية كما يتجلى في تعريف عبد القاهر الجرجاني هي شكل من أشكال الانحراف في الدلالة فكل من طول القامة وكثرة القرى وترف المرأة قرب الأجل، يمثل الغرض المراد في عباراته ولكن تلك الأغراض لم تثبت أو تدل عليها بصريح اللفظ بل أن الألفاظ في كل عبارة من تلك العبارات تدل على معنى بحيث يكون لهذا المعنى دلالته على المعنى أو الغرض المراد لمرادفته له واستتباعه إياه ومن ثم أطلق على هذا الأسلوب مصطلح (الإرداف) تارة ومصطلح (التتبيع) أخرى.(الجرجاني:دلائل الأعجاز :268)

ج/ التمثيل :

"الصورة الثالثة من صور الانحراف هي التمثيل، فعلى الرغم من تقارب المادة المعجمية بين مصطلحي التمثيل والتشبيه فإن معظم البلاغيين قد فرقوا بينهما باعتبار أن التمثيل لا يتوقف كما يتوقف التشبيه المجرد على إدراك العلاقات بين الأشياء في ظاهرها الحسي، بل هو ينفرد دونه بالنفاذ إلى بواطن الأشياء وإدراك دلالاتها المستكنة وعلاقاتها الخفية البعيدة عن مجال الإلف ومدارك الحس، فالتمثيل هو صورة خاصة من التشبيه".(د.حسن طبل:المعنى في البلاغة العربية:147) يقول الإمام الجرجاني في شأن التمثيل:"... أن تجعل ذلك كالأمر الذي يحتاج إلى أن تعمل في إثباته وتزجيته وذلك حيث تجري اسم المشبه به خبراً على المشبه فتقول : (زَيْدٌ أَسَدٌ) و (زَيْدٌ هو الأسد) أو تجيء به على وجه يرجع إلى هذا كقولك : (إن لقيته لقيتُ به أسداً ، وإن لقيته لَيلقينَّك منه الأسد) فأنت في هذا كله تعمل في إثبات كونه (أسداً) أو (الأسد) وتضع كلامك له.

وأما التمثيل الذي يكون مجازاً لمجيئك به على حد الاستعارة فمثاله قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه : (أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى).فالأصل في هذا الكلام: أراك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى، ثم اختصر الكلام وجعل كأنه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة، كما كان الأصل في قولك : (أيت أسداً)، رأيت رجلاً كالأسد ثم جعل كأنه الأسد على الحقيقة. وهكذا كل كلام رأيتهقد نَحْوا فيه نحو التمثيل (المرجع السابق:134)

ويجمع الإمام الجرجاني أحياناً نوعين من الانزياح(المرجع السابق:68-69) مثل جمعه للانزياحين التركيبي والدلالي في حديثه الاستفهام:" وإذ قد عرفت هذا فمما هو من هذا الضرب قوله تعالى :أَفَأَنتَ تُسمع الصم أو تهدي العمي"(سورة الزخرف:40) ليس إسماع الصم مما يدعيه أحد فيكون ذلك للإنكار وإنما المعنى فيه التمثيل والتشبيه وأن ينزل الذي يظن بهم أنهم يسمعون أو أنه يستطيع إسماعهم منزلة من يرى أنه يسمع الصم ويهدي العمي ثم المعنى في تقديم الاسم"(الجرجاني:دلائل الإعجاز :120)

هنا جمع بين الاستفهام والتقديم وهما من الانزياحات التركيبية، وبين التمثيل والتشبيه وهما من الانزياحات الدلالية وهذا ما يُطلق تضافر القرائن

د/ الجناس:

من المعروف في علم البلاغة أن الجناس أو التجنيس – كما يسميه الجرجاني– محسن لفظي، ويعرفه أحمد الهاشمي في كتابه (جواهر البلاغة) فيقول : "أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى".(أحمد الهاشمي:جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع :تح حسن حمد:دار الجيل:243) وقد أورد الإمام الجرجاني عدداً من الأمثلة في التجنيس، ومن ذلك قول القائل:

حتى نـ َجَا من خوفه وما نـ َجَا(البيت بلانسب في البيان والتبيين:أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ: تح عبد السلام هارون:ج1: 150)

نلاحظ اتفاق اللفظين نـ(َجَا) ونـ(َجَا) في النطق، ولكن نـ(َجَا) الأولى جاءت بمعنى الخلاص من الشر والبعد عن السوء، أما الثانية فقد انحرفت عن معنى نـ(َجَا) الأولى بأنها كانت منفية بـ(ما) فأفادت عكس ما تفيده الأولى. وقول المُحْدَث :

نـ اظِرَاه فيملجـ ـنِي اظِرَاه * أو دَعَانِي أُمْتْ بما أُودَعَانِي

(للفتح البستي : في اسرار البلاغة في علم البيان:للإمام عبد القاهر الجرجاني:تح السيد محمد رشيد رضا:الهامش:14)

فـ(نـاظِرَاه) الأولى أفادت معنى جادلاه وعاتباه، والثانية أفادت النظر بالعين.

أما في عجز البيت (أودعاني) هنا (أو) للتخيير و(دعاني) أتركاني، وفي الثانية (أودعاني) أي ما تركاه في نفسي من الشعور والحس. كما يذكر الإمام:"... كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك أنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها، ولهذه النكـ ْتـ َة كان التجنيس، وخصوصاً المستوفى منه، مثل نـ(َجَا) و نـ(َجَا)". (الجرجاني:دلائل الإعجاز:523-524)

وبالرغم من أن التجنيس محسن لفظي يزيح المعنى دلاليا، إلا أنه لا يعدُّ في أحواله جميعها ضربا من ضروب ازاحة النص، فقد يكون خلاف ذلك، لأن الألفاظ فيه لا تراد لأنفسها إنما المعنى الثانوي هو المقصود ومن الأمثلة التي ساقها الإمام للتدليل والبرهنة على هذا الرأي بيت لأبي تمام الذي مهد له قائلاً "ومن ههنا رأيت العلماء يذّمون من يحمله تطلب السجع والتجنيس على أن يَضِيم لهما المعنى ويدخل الخلل عليه من أجلهما وعلى أن يتعسف في الاستعارة بسببهما ويركب الوعورة ويسلك المسالك المجهولة كالذي صنع أبو تمام في قوله:

سيفُ الإمامِ الذي سَمَّتْـهُ * لمَّا تَـخَوَّم أهلَ الأرضِ مُختَرِما

قَرَّت بِـهِ قُرَّان عَيْنُ الدين وانتشرت * بالأشترين عُيونُ الشرك فاصطُلِما

(ديوان أبي تمام:شرح الخطيب التبريزي:تح محمد عبده عزام: مجلد4 :2009: 313)

وقوله:

ذهبتْ بمذهبِه السماحةُ والتَوت * فيه الظنون أَمَذْهَبٌ أم مُذهبُ (المرجع السابق: 150)

ويصنعه المتكلفون في الأسجاع وذلك أنه لا يتصور أن يجب بهما ومن حيث هما فضل ويقع بهما مع الخلو من المعنى اعتداد وإذا نظرت إلى تجنيس أبي تمام أمذهب أم مذهب فاستضعفته"(الجرجاني:دلائل الإعجاز:523)

لأنه هجر المعنى وصب جهده على اللفظ ولم يحقق الانحراف المنشود. وهنا الحكم ليس خاصاً بالتجنيس بل يشمل بقية الأنواع يقول عن الاستعارة مثلاً" اعلم أن من شأن هذه الأجناس أن تجري فيها الفضيلة وأن تتفاوت التفاوت الشديد أفلا ترى أنك تجد في الاستعارة العامي المبتذل كقولنا رأيت أسدا ووردت بحرا ولقيت بدرا والخاص النادر الذي لا تجده إلا في كلام الفحول ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال"(المرجع السابق:74)

وإذا رجعنا إلى المثال الأول وجدنا أن مظهر الانحراف الدلالي فيه يتجلى في حديث الإمام عن الفائدة والزيادة التي طرأت على المعنى الأساسي، إضافة للبعد الشكلي.

هـ/ التعريف والتنكير :

إنّ النظر في التعريف والتنكير يعني النظر في الإلصاق وعدمه، وهو ظاهره شكلية صرفية ذات دلالة معينة ، يمكن استخدمها للتفريق بين أقسام الكـَ لـِم فـ(ال) مثلا تدخل على ما هو اسم أو صفة ، وإن اختلف معنى الإلصاق فيهما. والنظر في التنكير يسوق إلى البحث في التنوين وأنواعه وهو ظاهرة شكلية صرفية صالحة للتفريق بين الاسم وغيره. وبالذ سبة للمعاني النحوية فالمعلوم أن ما نقصده منها في التعبير بالمُعرَّف غير ما نقصده في التعبير المُنكَّر.(فاضل مصطفى الساقي:أقسام الكلام العربي:القاهرة:1977-1397: 101) لذلك كان اهتمام الجرجاني بالتعريف والتنكير كبيراً لما له من أثر في الانزياح الدلالي، ومن ذلك تفرقته بين صيغ الخبر حيث يقول : (زيدٌ منطلقٌ) و(وزيدٌ المُنطلقُ) فيكون لك في واحد من هذه الأحوال غرض خاص، وفائدة لا تكون في الباقي فإذا قلت: (زيدٌ منطلقٌ) كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقاً كان لا من زيد ولا عمرو، فأنت تفيده ذلك ابتداء.

وإذا قلت زيدٌ(المُنـْطـَلـِق) كان كلامك مع من عرف أن انطلاقاً كان، إمّا من زيدٍ وإمّا من عمرو فأنت تعلم أنه كان من زيد دون غيره. ثم إنهم إذا أرادوا تأكيد هذا الوجوب ادخلوا الضمير المسمى (فصْلاً) ببين الجزأين فقالوا : (زيدٌ هو المنطلق) ويقف الإمام عبد القاهر وقفة طويلة ليبين الفرق بين (المنطلق زيد) و(زيدٌ المنطلق) فيلاحظ أن العبارة الأولى أقوى في القصر وذلك لأن المنطلق فيها أعم؛ إذ الألف واللام فيها لاستغراق الجنس، ولذلك نجد أن دراسة التركيب الاسنادي في علم اللغة العربية التقليدي تستند في الغالب إلى مفهومين أساسيين (المعرفة والنكرة) ويشهد ذلك دون شك على الأهمية الكبيرة التي تعطي هنا للوظيفة النحوية للتخصيص" (غراتشيا غابوتشان:نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي:ترجمة جعفردك الباب:دمشق:39)التي تمثل عنصرا مهما من عناصر الانزياح الدلالي.

والأبلغ من ذلك ما أورده الإمام في تنكير لفظة (حياة) في الآية "ولتجدنهم أحرص الناس على حياة"(سورة البقرة:96) إذ يصرح وفي قوله تعالى: ولتجدنهم أحرص الناس على حياة إذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسك وجدت لهذا التنكير وأن قيل على حياة ولم يقل على الحياة حسنًا وروعة ولطف موقع لا يقادر قدره وتجدك تعدم ذلك مع التعريف وتخرج عن الأريحية والأنس إلى خلافهما والسبب في ذلك أن المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من أصلها وذلك لا يحرص عليه إلا الحي فأما العادم للحياة فلا يصح منه الحرص على الحياة ولا على غيرها وإذا كان كذلك صار كأنه قيل ولتجدنهم أحرص الناس ولو عاشوا ما عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم في ماضي الوقت وراهنه" (الجرجاني:دلائل الإعجاز:288) ويؤكد هذا المعنى المزاح بقوله "وشيبه بتنكير الحياة في هذه الآية تنكيرها في قوله عز وجل ولكم في القصاص حياة وذلك أن السبب في حسن التنكير وأن لم يحسن التعريف أن ليس المعنى على الحياة نفسها ولكن على أنه لما كان الإنسان إذا علم أنه إذا قَتل قُتل ارتدع بذلك عن القتل فسلم صاحبه صارت حياة هذا المهموم بقتله في مستأنف الوقت مستفادة بالقصاص وصار كأنه قد حيي في باقي عمره به أي بالقصاص وإذا كان المعنى على حياة في بعض أوقاته وجب التنكير وامتنع التعريف من حيث كان التعريف يقتضي أن تكون الحياة قد كانت بالقصاص من أصلها وأن يكون القصاص قد كان سببا في كونها في كافة الأوقات وذلك خلاف المعنى وغير ما هو المقصود"(المرجع السابق:288) ويستطرد في السياق ذاته "وإذا دخل الخصوص فقد وجب أن يقال حياة ولا يقال الحياة كما وجب أن يقال شفاء ولا يقال الشفاء في قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس حيث لم يكن شفاء للجميع"(المرجع السابق:289) ويحكم على ذلك كله بقوله: "وإذا كان هذا

كذلك كان وجها ثالثا من وجوب لتتكير فصل في الذوق والمعرفة واعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأن لما يومئ إليه من الحسن واللطف أصلا وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى وحتى إذا عجبته عجب"(المرجع السابق:289)

ختاماً، نلاحظ أن كلاً من الاستعارة والتمثيل والتعريف والتنكير والجناس وغيرها من الوظائف الدلالية هي في نظر اللغويين والبلاغيين صوره فنية تتمثل فنيتها في انحرافها عن أصل نمطي (أي دلالة مجردة عن أصل معناها)، وأن وظيفة الأصول النمطية في هذا التصور (الحقيقة – الدلالة المجردة من التمثيل – التصريح)، هي أن كلاً منها تمثل الدرجة الدنيا من الدلالة على المعنى المستفاد من صورته ، ومن ثم فإن قيمة تلك الصور لا تتجلى إلا عند التحليل، ذلك لأن كل صورة من تلك الصور في ضوء فكرة الانحراف لم تكن في نظر البلاغيين وسيله خـ َـلـْق وإبداع للمعنى بل وسيلة من وسائل إبرازه وإخراجه في شكل تعبيري له تأثيره الفني في المتلقي، بعبارة أخرى نجد المعنى البلاغي في إطار الصورة هو – في أساسه – المعنى في مقابلها الحرفي، غير أنها تضيف إليه ما يثريه ويكسبه من الخصوصيات ما يوقعه في نفس المتلقي إيقاعاً فنياً خاصاً .(حسن طبل: المعنى في البلاغة العربية:155) وكل هذا الحشد الهائل من النماذج والأمثلة يؤكد بوضوح أن هناك وشائج قربى بين نظرية النظم التليدة التي نادى بها الإمام الجرجاني، وبين ما ذهب إليه علم اللسانيات الحديث في الدرس الأسلوبي خاصة في نظرته للانزياح والانحراف, ويؤكد أيضاً أن بعض ما أبدعه الغربيون له وجود سابق في اللغة العربية من نواحي الفكر والفهم والمضمون، وقد يكون الاختلاف والتباين في الشكل والاصطلاح كما في النظم والانزياح.

نتائج البحث :

بعد هذا العرض يمكن القول إن **الورقة** خلصت إلى أن آلية الانزياح أتاحت للغة الخروج من نمط الإخبارية العادية إلى إعطاء القيم الجمالية للأدب. وقد فتح منهج الانزياح آفاقًا أرحب لدراسة نظريةالنَّظـْم) لعبد القاهر الجرجاني. لما يجمعهما من صلات قوية، علاقة وطيدة، وإن مفهوم الانزياح الدلالي يتمثل في (معنى المعنى) أو (المعاني الثانوية)التي تحدث عنها الجرجاني واعتبرت قانوناً شاملاً لتغيير دلالة المجاز وأدبية الأسلوب. ويلاحظ أن للقرائن الحالية دوراً كبيراً في الانزياحات الدلالية. وكشفت الورقة كذلك أن الانزياح في النص الواحد يختلف بعداً أو قرباً، لذلك يحتاج للقارئ الحصيف الذي يفهم ذلك. وأكدت الدراسة عبد القاهر الجرجاني سبق الغربيين في أرائهم الأسلوبية. الأمر الذي يدل على عمق فهم علمائنا العرب في تأليفهم.

أما التوصيات فهي :

1. أهمية الرجوع إلى كتب التراث العربي القديم في بحث القضايا المعاصرة.
2. دراسة الانزياح بمزيد من التنقيب والبحث في ميدان الدرس اللغوي.
3. دراسة النصوص الأدبية بمفهوم شامل يكشف جوانبها المختلفة.
4. دراسة بلاغة الجرجاني بعمق، ومقارنتها بالمذاهب النقدية الحديثة بغية تأصيل تراثنا الأدبي.

أولاً : القرآن الكريم :

1- سورة البقرة، الآية 4

2- سورة الزخرف،الآية 40

3-سورة مريم ،الآية4

ثانياً : المراجع :

1- أبو تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق : د. محمد عبده عزام، مجلد4 ، دار المعارف 2009.

2- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،البيت بلا نسب في البيان والتبيين، تحقيق : عبد السلام هارون ،ج1، دار الفكر.

3-البيت لإبراهيم بن هرمة ، دلائل الإعجاز، الهامش

4-د. أحمد محمد ويس،الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية،المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر،بيروت،ط1، 1426-2005.

5-أحمد قاسم الزمر، ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن،دراسة وتحليل مركزعبادي للدراسات والنشر،ط1 صنعاء،1995-نقلاً عن كتاب الأسلوبية الرؤية والتطبيق، د.يوسف أبو العدوس،دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان،ط1 1427-2007.

6- أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق:حسن حمد، دار الجيل.

7-ديوان امرئ القيس ، شرح د.محمد الإسكندراني،د.نهادزروق، دار الكتاب العربي، بيروت،1428-2007.

8-د.تمام حسان،اللغة العربية مبناها ومعناها،القاهرة ،ط4 ،عالم الكتب،1425-2004.

9-حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، دار الفكر العربي،القاهرة ، ط1، 1418-1998 .

10- د.خيرة حمرة العين، شعرية الانزياح ، ط1 ،مؤسسة حمادة ،الأردن،2001 .

11- عبد القاهر الجرجاني ، في أسرار البلاغة في علم البيان ، تحقيق : السيد محمد رشيد رضا، المكتبة الوقفية.

12- البيت لسبيع بن الخطيب وقيل لغيره، دلائل الإعجاز، الهامش.

13- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، تحقيق:محمود محمد شاكر، القاهرة ، مكتبة الخانجي ،ط3، 1413-1992 .

14- غراتشيا غابوتشان ، نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي ، ترجمة جعفر دك الباب ، مطابع الوحدة ، دمشق .

15- فاضل مصطفى الساقي ،أقسام الكلام العربي ،القاهرة ، مكتبة الخانجي،1397-1977.

16- مجد الدين الفيروز أبادي ،القاموس المحيط ،مجلد1،طباعة دار الفكر، بيروت 1983.

17- محمد حنيف الأبشيهي، نظرية إعجاز القرآن الكريم عند عبد القاهر الجرجاني، عن كتابيه "أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز"بيروت ، منشورات الحجرية ،1379-1959 .

18- د. وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية، دمشق ، دار الفكر ،ط1 ،1413-1992 .

المواقع الإلكترونية :

1-نقلا عن موقع صحيفة البعث: www.albaath.news.sy ، مقال لعمر محمد جمعة .

2-نقلا عن موقع جامعة حلب سوريا:www.4adab.com

3-الأسلوبية النصية من خلال مفهوم الإنزياح، د.جمال حضري azzoulahcen.com

4-موقع مجلس عمان الأدبي: www.majles Oman.com مقال بعنوان "مزيداً من الانزياح" لعبدالله الشتوي.